

## الخطاب الحجاجي في النثر الجاهلي

م.م. أسماء محمد صاحب معلمة  
كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة المثنى - العراق  
الإيميل: asmaa1973@gmail.com

### الملخص

للخطاب الحجاجي أهمية خاصة في تحليل الخطابات الإنسانية، وتقسيمها من وجهة نظر المقصد المتنوع المتلقي الحجاجي؛ حيث يعمل هذا الخطاب على تшиريح الشيفرة الخطابية بغرض فهم الرسالة الموجهة نحو المتلقين، وهذا في هذا البحث يتوجب على الباحثة الإجابة عن السؤالين الآتيين:

- 1- ماهية الخطاب الحجاجي ؟
- 2- كيف تجلّى الخطاب الحجاجي في نثر ما قبل الإسلام تحليلياً ؟

**الكلمات المفتاحية:** مفهوم الخطاب، الخطاب الحجاجي، النثر الجاهلي.

## Pilgrim Speech in Pre-Islamic Prose

Asma'a Muhamad Sahib Mueala  
College of Education for Humanities - Al-Muthanna University - Iraq  
Email: asmaa1973@gmail.com

### ABSTRACT

Summary Pilgrim speech has special importance in analyzing and dismantling human discourses from the point of view of the diverse, articulated pilgrimage; Where this letter works to dissect the rhetorical code in order to understand the message addressed to the recipient, and here in this research the researcher must answer the following two questions:

- 1- What is the Hajjaji speech?
- 2- How did the Hajjaji rhetoric manifest itself in analytical pre-Islamic prose?

**Keywords:** concept of discourse, pilgrim speech, pre-Islamic prose.

## أولاً: مفهوم الخطاب

يواجه النقاد إشكالية الإجابة عن سؤال: هل النص و الخطاب يحملان المعنى نفسه أو بينهما اختلاف؟ لاشك أن هناك من يرافق بينهما ، وكذلك من يميز بينهما على أساس أن الخطاب مرتبط باللفظ والبيئة الفاعلية في حين أن النص يتجرد من هذا السياق بشكل كلي، والخطاب يتميز بخواص نصية بوصفه فعلاً، ابتنى في وضعيه خاصة مثل المستمعين، والزمان، والمكان، ولكن النص نتاج من دون سياق، وهذا يعني أن لفظة الخطاب تستمد مشروعيتها من طبيعة المخاطب و السياق الذي تدور فيه حيث تكتسب طبيعة معرفية شاملة تتجاوز الجزئية عند الكلمات و الأسلوب، و الخطاب يدرج عبر منظومة معرفية، تعمل على استثمار الخطاب الثقافي في سياقه المنتج لأياته.

والقدم الذي أحرزته الثقافة العربية عبر تقنياتها الأسلوبية يصب في بؤرة الخطاب، ومن هنا ليس من السهل التعريف بالخطاب أو البحث عن مفهوم جامع، ومانع له؛ فيبقى تحديده مسألة نسبية حيث يعرّفه كل باحث من وجهة نظره الخاصة التي ترتبط بالخصوصية المعرفية، وتؤكد الدراسات على أن مفهومه غير متطرق عليه لتعدد الموضوعات التي يطرحها، و تسعى الباحثة جاهدة في هذا البحث عن جذور هذا المصطلح سواء عربياً أو غربياً للوصول إلى مفهوم الخطاب الأدبي.

### وللخطاب مفهومان:

1- المفهوم الأول: ينبع بالأصلية، والثبات، وقد عرفته العرب، وورد في القرآن الكريم و الحديث الشريف، وفي القرآن الكريم يتجلّى الخطاب في آيات عديدة، ذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "وَأَنِّي فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يُؤْتُوكُ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ" <sup>(1)</sup>

و هنا اقتربنا الخطاب عند ذكر الحج، ومناسكه في لفظة (الناس) حيث المخاطب هم المسلمون على مر العصور، حيث كانت بلاغة الخطاب الإلهي في نفس إبراهيم عليه السلام هي القوة المحركة لإمداده بالطاقة اللازمة لتنفيذ أمر الله سبحانه و تعالى.

وأما في السنة النبوية هو خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع: "أيها الناس: اسمعوا قولي فإني لا أدرى لعلني لا ألقكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، كحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وأن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون" <sup>(2)</sup>

وفي هذا الخطاب النبوي يوجه النبي حديثه، ووصايته إلى الأمة الإسلامية عامة الحاضرة مكانياً، واللاحقة إلى يوم الدين حيث أوصاهما بعد الاعتداء على حرمات الله، وكذلك أوصاهما بالأمانة لما لها من تأثير في الثقافة الإسلامية وكذلك نهاهم عن الظلم ، وهنا يخاطب المؤمنين رغم علمه بقوه إيمانهم، وإدراهم لاتك الوصايا، ولكن من شدة حبه لهم، وحرصه عليهم أراد ثبيت تلك الوصايا في نفوسهم، وتنذيرهم بها.

2- المفهوم الثاني: الخطاب ذو طبيعة تركيبية يتعدى بها الدلالة اللغوية إلى الدلالات الفلسفية، والسياسية، والإعلامية، فلو عدنا للمعاجم العربية وجدنا أن لفظة خطاب بكسر الخاء، وتحقيق الطاء هو (مراجعة الكلام) <sup>(3)</sup>، والخطب "الأمر يقع؛ وإنما سُمى بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة" <sup>(4)</sup>، وخطابه أحسن الخطاب: واجهه بالكلام<sup>(5)</sup>، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهم يخاطبان أي وجه أحدهما كلاماً للأخر<sup>(6)</sup>.

وعند النظر في التراث الثقافي في نثر ما قبل الإسلام نجد أنها تأثرت كثيراً بفلسفه، وخطاب الثقافات الأخرى؛ وخاصة الثقافة اليونانية، وثقافة الروم، والفرس حيث استمدت الثقافة العربية كثيراً من آليات الخطاب الحجاجي لديهم، ثم قامت بتطويعها كي تلائم الحياة العربية، ومن هؤلاء الذين شاركوا في هذه المهمة مجموعة من مثقفي المسلمين، وعلمائهم مثل الفارابي وابن سينا " وهو ما جعل للحجاج حظاً لافتاً في العلوم العربية" <sup>(7)</sup>،

وترى الباحثة أن الخطاب مراجعة الكلام، والوصول إلى إقناع المستمع بفكرة خاصة كان رافضاً أو متشككاً لتأثر الفكر، والسيطرة على ذهن المستمع ثم تحل مكانها "الفكرة التي جيء بالحجاج من أجل إثباتها" <sup>(8)</sup>، وهو أيضاً المراجعة بالكلام أو ما يخاطب به الرجل صاحبه؛ ونقضيه الجواب وهو قطع كلامي، يحمل معلومات يزيد المرسل (المتكلم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (السامع أو القارئ)، ويكتب الأول رسالة، وبفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهما، ويعرفه بيارشاردو هو " ما تكون ملفوظ ومقام خطابي وأن المفهوم يستلزم استعمالاً لغويًّا عليه إجماع، أي قد تواضع عليه المستعملون لغة، وأن هذا الاستعمال يؤدي دلالة معينة" <sup>(9)</sup> .



و كذلك عرقته جوليا كريستيفا بأنه " كل لفظ يحتوي داخل بنائه الباعث والمتلقى مع رغبة الأول في التأثير على الآخر" <sup>(10)</sup>.

وترى الباحثة تبعاً للقول الدارج أن اللسان آلة البيان حيث تتجلى تلك الدلالة الفلسفية في أن تعدد الخطاب الحجاجي، وتنوعه ركيزة أساسية في الثقافة العربية، والثقافات الأخرى، وكذلك لم تكن دراسة الخطاب الحجاجي حديثة، بل توغلت في مؤلفات أرسطو، والثقافة اليونانية، التي رصدت آليات الخطاب و الموروث الفكري الضخم، و كذلك قد استمد الخطاب قوته من البلاغة و الفصاحة العربية التي عاشها العربي فيما قبل الإسلام كوسيلة أساسية في الإقناع في الثقافة العربية و ذلك في إطار توفر معايير الخطاب (الاستمالة – التأثير – الإقناع).

### ثانياً: الخطاب في الثقافة العربية

قد أورد الجاحظ في كتابه (البيان و التبيين) العديد من خطباء ما قبل الإسلام من غير ترتيب منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- كعب بن لوئي: قلت " وعليه عمود النسب، وإليه ذاك الحسب المنير المنيف، الضوئي، فاض عليه ذلك النور الساطع، واستفاض عنده ما يسر المسامع، وكفاه شرفاً مرور النسب الصميم على جادته " <sup>(11)</sup>، وقال الجاحظ عن كعب أنه أول من خطب يوم عروبة وهو الجمعة، وقد جمع الناس، وذكر لهم شأن النبي، ودño أوان مبعثه، وبشر به، ونحر لهم يوم ذاك الجزء وأطعمهم.

- الزبير بن بكار: كانت يخطب في قريش قائلاً " أما بعد، فاعلموا، وتعلموا، إنما الأرض مهاد، والجبل أوتاد، والسماء بناء، و النجوم علامٌ يأمرهم بصلة الرحم، و يبشرهم بالنبي، و يقول: حرمكم يا قوم عظّموه، فسيكون له نباً عظيم و يخرج منهنبي كريم " <sup>(12)</sup>.

فيما لا يتبعه مفهوم الخطاب عند علمائنا القدماء كثيراً عما قررته المعاجم العربية، ومما يساعد على معرفة دلالة الخطاب في الثقافة العربية وروده في القرآن الكريم في مواضع متعددة، فقد قيل إنه " توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل إلى كلام موجه نحو الغير للإفهام، وقد يُعبر عنه بما يقع به التخاطب" <sup>(13)</sup>.  
و ترى الباحثة أن الخطاب مبني على الخطابية، والتلفظية، وهو عبارة عن ألفاظ متصلة بالسياق الوظيفي سواء أشفوياً أم كتابياً، وهو عبارة عن التعبير بصيغة جمالية فنية للمضمون ضمن الإطار النثري .

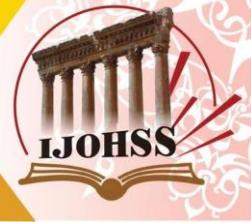
### ثالثاً: الخطاب في مفهوم الثقافة الغربية

لم يكن الاهتمام بالخطاب وليد اللسانيات الحديثة، بل كانت له جذور، وامتدادات في الدراسات القديمة، وكانت البدايات بنحو الجملة، وقد حظى الخطاب باهتمام الكثير من الفروع، كالفلسفة، واللسانيات، والفقه، والنقد، واختلفت الرؤى بين هذه الفروع من نواحٍ كثيرة، فمن ناحية المفهوم لا نجد اتفاقاً حول مفهوم محدد، وشامل.

فقد أعطت كل نظرية مفهوماً خاصاً للخطاب، يختلف عن مفهوم النظريات الأخرى، من الناحية الشكلية اختلوا حول العناصر المكونة له، ودور كل منها في إنتاجه، واهتمت الدراسات القديمة بعنصرين مكونين له هما المخاطب والمخاطب عند القدماء، أو المرسل والمرسل إليه في الدراسات اللسانية الحديثة <sup>(14)</sup>، والتي أضافت عناصر أخرى لمكونات الخطاب، وهي السياق، وماله من دور في تشكيله، وكذلك المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب وما لها في الأخرى من دور، كما اهتمت اللسانيات الحديثة وبخاصة اللسانيات التداولية بالخطاب الذي شكل اهتماماً الأكبر مع التركيز على عنصر التداول فيه، والمقصودية من وراء إنشائه، كما ركزت اللسانيات التداولية على تحديد الأهداف التي من أجلها أنشئ الخطاب، وكيفية استخدام اللغة والتعامل معه <sup>(15)</sup>.

وقد اختلف كثير من الدارسين في تعريف الخطاب، فقد عرفه (سويسير): الخطاب مصطلح مرادف لـ (الكلام) <sup>(16)</sup>، وكان لـ(هارييس) رأي آخر في تعريف الخطاب حين قال: " الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباعث (المتكلم) تتجاوز أبعد الجملة أو الرسالة" <sup>(17)</sup>، وله تعريف آخر أيضاً: " أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ، ومستمع و عند الأول فيه نية التأثير وفي الآخر بطريقة معينة" <sup>(18)</sup>.

والخطاب الحجاجي مجموعة من الجمل، والفراء، والمتواлиات، والمقاطع المتفاعلة فيما بينها " اتساقاً، وانسجاماً، وحوارية بواسطة مجموعة من الروابط، والعلميات، والعلاقات المنطقية، والبرهانية، والاستدلالية، والحجاجية بغية التأثير، والإقناع، والإقناع" <sup>(19)</sup>، وتستعمل في الخطاب الحجاجي وسائل، وأليات



واستر ايجيات من أجل إقناع الآخر، وهذا يعني أن الخطاب الحجاجي خطاب نقي هدفه بيان حاجيّة الخطاب، ورصد الحوار النصي فيه سواء أكان ذلك الحاج صريحاً أم خفياً مضمراً.

وقد تعددت تعريفات الخطاب الحجاجي في الثقافة العربية والغربية على سبيل المثال لا الحصر:

1- عربياً: قد عرف أبو بكر العزاوي الخطاب الحجاجي بأنه " هو مجموعة من الأقوال والجمل ومجموعة من العلاقة الدلالية المنطقية القائمة بينها أو بتعبير حجاجي هو مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلاقة، فالحجارة تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة لها، والدليل يفضي إلى نتيجة، والتنتجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه، ويوجه القول الذي يتلوه، وبعبارة أخرى فإن الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقية ودلالية مثل الشرط، والسببية، والاستلزم، والاستنتاج، والتعارض، وكلها علاقة حجاجيّة استدلاليّة، ومجموع هذه العلاقة هو ما يكون البينة المنطقية للنص أو للخطاب المقصود، وهو ما نسميه عادة بمنطق الخطاب أو المنطق الطبيعي "(20)

2- غربياً: تعددت تعريفات النقاد الغربيين للخطاب الحجاجي منهم روث أموسي التي تقر أن "الحجاج يخترق كل الخطابات بدرجات وكيفيات مختلفة؛ و من ثم فلا وجود لخطابات خالية من الحاج، إلا إذا افترضنا وجود خطابات تمثل إجابات على ما هو بيده، لا يثير أي اختلافات؛ ففي هذا الحال ينتهي الحاج وبناء عليه، فإنها تدعى إلى أن تستبدل بال مقابل الإشكالي بين الحجاجي واللاحجاجي، يقترح تصورها مفهوماً للحجاج متعدد المظاهر، يتشكل من قطبين متطرفين تمثل أحدهما الخطابات التي تقوم على اصطدام الدعاوى المتعارضة في حالاتها القصوى، و تمثل القطب المعاكس للخطابات السردية، والإخبارية التي تبدو مجردة في الظاهر من أي إيقاعي، وإنما يحصل تأثيرها في الآخر على نحو خفي، وبين هذين القطبين تقوم خطابات حجاجية مختلفة من قبل الخطابات التي يروم فيها الخطيب حمل المتنافي على الإذعان لدعوى ما، والخطابات التي تقوم على الحوار و النقاوض"(21).

و ترى الباحثة أن الخطاب الحجاجي فهو التأثير العاطفي على المتلقى و جنبه وجданها و ذهنياً، و كذلك العمل على استمالة غير المخاطب و التأثير عليه عاطفياً مثل الخطاب السردي، والخطاب الشعري، والخطاب السياسي،

#### رابعاً: ألوان الخطاب

##### 1- خطاب أجزاء الجسم

قد خاطب الناثر فيما قبل الإسلام القلب، واللسان، والعين مرتكزاً عليها أكثر من باقي أعضاء الجسم الأخرى، و ربما لهذا التركيز دلالات، وإشارات عميقه بوصف تلك الأجزاء مهمة في مخاطبتها، واتصالها بالجانب العاطفي، والإنساني، وهذا على سبيل المثال الفائل "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها" (22)، حيث يقال في صيانة النفس، وبعدها عن المكاسب الخيسية، وكذلك المثل الفائل "إنما المرأة بأصغر ريه قلبها ولسانه" (23)، وهذا مجاز عن أهم أعضاء الجسد الممثلة في اللسان الذي له تأثير كبير في المجتمع، وكذلك القلوب الطيبة أو الخبيثة كيف يجعل الإنسان يتعامل مع قومه، وكذلك قول عامر بن الظرب العدواني في الرد على خاطب ابنته صعصعة بن معاوية " يا صعصعة إنك جئت تشتري مني كبدى..." (24) ثم رد عليه "آخر جت من بين أظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم" (25)، وكذلك خطبة الوعاظ المأمون الحارثي الذي خطب قومه قائلاً: "أرعوني أسماعكم، وأصغوا إلى قلوبكم... يأيها العقول النافرة و القلوب النائرة... لو كشفت الأغطية عن القلوب و تجلت الغشاوة عن العيون.." (26).

##### 2- خطاب الطبيعة

وليس أشهر من سجع الكهان في خطاب زبراء كاهنةبني رئام إذ قالت " واللوح الغافق، و الليل الغاسق، والصبح الشارق، و النجم الطارق، والمزن الوادق" (27)، وكذلك في المحاورة بين معبد بن زراره، وعمرو بن هند، و يستغفره لقومه... فقال له عمرو: من أين أقبلت أيها الراكب؟ قال: من بلد سماؤه غيراء، وكذلك خطبة الوعاظ المأمون الحارثي في قوله مخاطباً الطبيعة مجازياً " إن فيما ترى لمعتبراً من اعتبر، أرض موضوعة و سماء مرفوعة، وشمس تطلع، وتغرب، ونجوم تسري، فتعزب" (28)، وكذلك خطبة قس بن ساعدة الإيادي "ليل داج، ونهار ساج و سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج... إن في السماء لخبراء وإن في الأرض لعبرا" (29)

### 3- خطاب الماضي والمستقبل

المثل القائل (إن غدا لناظره قريب)، فهذا مثل يقال في التراث، والانتظار لتحقيق الأمل، لاشك أنَّ بعد النفي للناشر يتدخل في أسلوبه الذي يتعامل به في واقعه، ومن هذه الأشياء الرؤية التفاؤلية للأشياء، وكذلك إخبار قس بن معاودة الإيادي في خطبته المشهورة "ونجوم تز هر و بحار تز خر.. وكل ما هو آت آت" (30) حيث يعرض قس هذا التدبر في خلق الله الدال على وجوده في حياتنا اليومية، وكذلك في قوله "من عاش مات و من مات مات.. ما بال الناس يذهبون و لا يرجعون.. لا يرجع الماضي إلينا و لا من الماضين غابر" (31)، و هنا يقوم قس بارشاد قومه، وو عظمهم حتى ينتبهوا، و يعملوا لما ينتظرون.

### 4- خطاب الحيوان

كان للحيوان في الحياة الجاهلية دور كبير بوصفها وسيلة نقل، وكذلك سيد الموارد، وهذا جعل الناشر يربط بين ما يريد توصيله من حكم، ومواضع مستخدما إياه، ومثال على ذلك المثل القائل "أطول ذماء من الضَّبِّ": أي إن الذماء ما بين القتل إلى خروج النفس ولا ذماء للإنسان، ويقال الذماء بقية النفس، وشدة انقاد الحياة بعد الذبح، وهشم الرأس، والطعن الجائف، والتامور، أيضاً بقية النفس وبعضهم بفتح عنه، فيجعله دم القلب الذي ما بقي للإنسان، والضَّبِّ يبغ من قوة نفسه أنه يذبح، فيبقى ليلته مذبوحاً مفري الأوداج ساكن الحركة، ثم يطرح من النار فإذا قدوا أنه نضح تحرك حتى يتوهموا أنه قد صار حياً ، وأنه كان في العين ميتاً" (32).

وكذلك المثل القائل "الظباء على البقر": أي أن يُضرِّب عند إنقطاع ما بين الرجلين من القرابة والصداقة، وكان الرجل في الجاهلية إذا أمراته الظباء على البقر بانت منهم كان عندهم طلاقاً، ونصب الظباء على معنى اخترت أو اختار الظباء على البقر كنایة عن النساء ومنه قولهم جاء يجرّ بقره أي عياله وأهله" (33).

وكذلك قد تجلى هذا الخطاب في الأمثل في صفاتٍ تعبّر عن الإنسان ولكن ضمن الإطار المجازي، ومن هذه الأمثلة:

- 1- أحهل من جمار .
- 2- أجبن من نعامة.
- 3- أحظر من غراب.
- 4- أحرص من نملة.
- 5- أحسن من الطاووس (34).

ولعل الاستعانة بهذه الأمثل ما فيها من صفات تعتبر رغبة في الاقتراب أو الابتعاد بمعنى التحذير منها حيث تأتي تبعاً للحرية التي يشعر بها قائل المثل، تجاه كائنات لا يخشى عاقبتها ذكرها، بل يبحث عن رمز يحمل مدلولات الإشارة إليها، وقد بلغ بالناثر "من شدة إعجابه أو نفوره من صفاتٍ فيها أن تسمى ببعض أسمائها" (35). و ترى الباحثة أنه لم تخل حياة الجاهلي الأدبية نثرياً من خطاب الحيوان، حيث استخدم الناشر الحيوان مجازياً للتعبير عن موقف معين أراد إبرازه أو التعبير عنه حيث خلقت علاقه قريبة بين الناشر والحيوان حيث يتآلم معه، ويتعاطف معه، و ذلك يجعلها رموزاً لمعنى خاص يسود في ذاتية الناشر.

وهنا ترى الباحثة أن المجاز يستعمل في الحاج ليدخل التركيب أو الجملة "في صور جديدة في محبيه انطلاقاً من نسج المعطيات الواقعية بطريقة إبداعية مما يجعل من هذه الصورة محظوظ اهتمام، تدفع السامع إلى تصوّرها عن طريق تركيبه وأنسجته الخاصة لواقع أو حقائق أخرى. فتجعله بذلك يشتراك مع المتكلّم في إبداعه؛ وهو نوع من التوافق الذي يتطلّب الحاج" (36)، و هنا لا نجد أوجز من الأمثل في ما قبل الإسلام حيث أنَّ كل مثل موجز ورأوه عبرة و قصة منها أمثل لقمان التي ظلت تدور على ألسنة المؤرخين، والعلماء، ووصفه بالحكمة، والدهاء، والرياسة حيث قال العلماء عنه إنه "عاش عمر سبعة سور وإن كل نسر منها عاش ثمانين سنة و كان ليد آخرها و به ضربوا المثل في طول العمر، فقالوا ( طال الأبد على ليد ) و نسبت إلى لقمان في عصور متاخرة طائفة من الأقاوصيس أريد بها إلى العظة، والاعتبار " (37)، وهذا مثل كلماته قليلة لكنها معبرة عن طول العيش و العمر.

و كذلك ترى الباحثة أن ميار قد اتفق مع أستاذه بيرلمان حول أهمية الصور البلاغية في الخطاب الحجاجي؛ إذ إن مiar يعد البلاغة لها الدور الفعال في الحاج وخاصه المجاز، حتى ذهب إلى أبعد من ذلك حيث "أنه يعتبر كل بلاغة حجاجاً وبالعكس، أي إنه - بعبارة أخرى - يطابق بين المفهومين إذ هما - الحاج والبلاغة - يهدفان في نظره إلى تضييق شقه الخلاف بين المحورين والمتخاطبين أو إلغائهما" (38)، وقد ركز في هذا الجانب على الصورة المجازية ومالها من أهمية في إقناع المتنافي، ومن ثم تقرّب المسافة بينه وبين المتكلّم والاتفاق مع



الأخير حول وجهة نظر؛ وهذا ما نجده في تعريف ميار للمجاز ودوره الحجاجي فيه فهو " ينشيء المعنى، ويقصد كل ما لا يشارك المتكلم وجهه نظره، وهو بذلك وسيلة التعبير عن الأهواء الانفعالات والأحساس التي تمثل صورا من الإنسان، مثلما المجاز صورة من الأسلوب " <sup>(39)</sup>

ويولى ماير " أهمية قصوى للبلاغة، وصورها المجازية في التخاطب، لأن هذه الصور تعمل على تأسيس فعل الحاج، فيصبح الحاج ما تنتجه البلاغة من صورة بيبانية " <sup>(40)</sup> لأن الإنسان يستخدم عبارات يريد من ورائها إبراز الفكرة أو تأكيدها أو إلغائها، وهذا يبرر " ما يفهمه الإنسان أو يؤمن به أو يعتقد به بأشكال متعددة من السلطة المادية، والمعنوية، والقولية، والمجازية " <sup>(41)</sup>، ويمكن القول إن النظرية المجازية تأسست من مفاهيم هي " عبارة عن ثنايات متقابلة يتشكل بها القول الحجاجي منها: الحقيقة، والمجاز، والافتراض، واليقين، والاستعمال، والابتکار، والسلطة المجازية، والسلطة المادية " <sup>(42)</sup>

ونجد هذا الرأي في عمق تراثنا العربي، والبلغيون العرب أدركوا الطابع الحجاجي للمجاز بالضرورة التي يعدل فيها عن التصرير إلى التلميح، ويقول الجاحظ " إن من البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها؛ إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفعاً أبلغ من الدرك وأحق بالظفر " <sup>(43)</sup>

و كذلك المثل الجاهلي القائل - يعتبر أبلغ المجاز - ( وافق شن طبقة ) كناية عن التوافق الفكري و الروحي بين الأزواج حيث قال الشرقي بن القطامي " كان رجل من دهاء العرب، وعقلائهم يقال له شن، فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي، فأتزوجها فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق، فسألته شن: أين تريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصد لها شن، فرافقه فلما أخذنا في مسيرهما، قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟ فسكت عنه شن، وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا هما يزرع قد استحمد، فقال له شن: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل، ترى نبتنا مستحصدنا، فتقول: أتراء أكل أم لا؟ فسكت عنه: حتى إذا دخل القرية لقيتهما جنازة، فقال شن: أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا؟ فقال له الرجل: ما رأيت أحجل منك، ترى جنازة فتسأل عنها: أميت صاحبها أم حي؟ فسكت عنه شن، وأراد مفارقتها، فأباي الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله، فمضى معه، وكانت للرجل ابنة يقال لها طبقة، فلما دخل عليها أبوها سأله عن صifie، فأخبرها بمرافقته إليها، وشكا إليه جهله، وحدثها بحديه، فقالت: يا أبي، ما هذا بجاهل أمّا قوله أتحملني أم أحملك فأراد: أتحدثي أم أحدثك حتى تقطع طريقنا، أما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا فإنما أراد: أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، أما قوله في الجنائز، فأراد: هل ترك عقبا يحيى بهم ذكره أم لا، فخرج الرجل فقعد مع شن: فحادثه ساعة، ثم قال له: أتحب أن أفسر لك ما سألكتي عنه؟ قال: نعم، ففسره فقال شن، ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه؟ قال: ابنة لي، فخطبها إليه، فزوجه إليها وحملها إلى أهله فلما رأوا هما قالوا: وافق شن طبقة فذهبت مثلا " <sup>(44)</sup>

و ترى الباحثة أن الحقيقة التي توصل لها البلاغيون العرب هي أن المجاز أبلغ من الحقيقة؛ ومع ذلك بقيت تحلياتهم لهذا الأمر مقلوبة، فمنهم من اكتفى بتقرير أفضلية المجاز كابن رشيق الذي قال: " والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة؛ وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ما عدا الحقائق في جميع الألفاظ؛ ثم لم يكن محلاً محضاً، فهو مجاز لاحتلال وجوه التأويل؛ فصار التشبيه والاستعارة وغيرها من محسن الكلام داخلة شيء تحت المجاز " <sup>(45)</sup>

ولو عدنا إلى الدراسات العربية الحديثة سنجد أن طه عبد الرحمن اتفق مع ميار في دور المجاز في الحاج بقوله " فلا حاج بغير مجاز " <sup>(46)</sup>، واتفق الدكتور عبد السلام عشير معهما بدرجاته إلى أن وصل إلى نتيجته الحتمية؛ إذ يقول: " وأما المجاز فيؤدي إلى الافتراض، والافتراض يؤدى إلى الجدل، والنفاق وإلى التعارض الخصب الذي ترجمه الحاج " <sup>(47)</sup>

وترى الباحثة أن المجاز أساس الحاج من حيث الثالوث الخطابي: المتكلم، والمتلقي والرسالة، فكيف يكون تعبير المتكلم وما بيته من أحاسيس، ومشاعر وما يفهمه القارئ؛ ومن ناحية أخرى كيفية تزيين الخطاب بالصور البلاغية و المجاز المؤثر.

## الهوامش

- 1- القرآن الكريم: سورة الحج، آية 27.
- 2- صحيح مسلم: كتاب الحج (218/147هـ) – باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
- 3- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهمزة، إيران، ط 2، 3952، مادة (خطب).
- 4- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، 1990م، مادة (خطب).
- 5- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تحرير: عبد الرحيم محمود، دار الكتب المصرية، 1953م، مادة (خطب).
- 6- لسان العرب: ابن منظور (ت 711هـ)، مادة (خطب)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة، دار الدعوة، تركيا، ط 2، 1989م، مادة (خطب).
- 7- الحاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط 2، 2007، ص 38.
- 8- الحاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً: إيمان درنوني، رسالة ماجستير، جامعة الحاج خضر، إشراف: الجودي مرداسي، 2012، ص 15.
- 9- الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب): فرحان بدري الحربي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2003م، ص 39.
- 10- المرجع نفسه: ص 40.
- 11- تاريخ اليعقوبي: ج 1، ص 206، كعب بن لؤي بن غالب، جد جاهلي، من سلسلة النسب النبوية، كان عظيم القدر عند العرب حتى أرحاوا بمותו إلى عام الفيل.
- 12- الأ بصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 13، 2004، ص 185.
- 13- كشف اصطلاحات العنوان: محمد علي التهانوي (ت 1158هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1958، ص 5/2.
- 14- تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية: إبراهيم صحراوي، دار الآفاق، الجزائر، ط 1، 1999، ص 9.
- 15- المصدر نفسه: ص 10.
- 16- المصدر نفسه: ص 40.
- 17- آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنفطي تحديد المفاهيم النظرية: سعد بولنوار، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقفه، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ص 58.
- 18- المرجع نفسه: ص 58.
- 19- حاج الخطاب أو الخطاب الحاجي: جميل حمداوي، صحيفة المتفق، العدد 4934، الاثنين 3/9/2020.
- 20- حوار حول الحاج: أبو بكر العزاوي، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 2010، ص 37/38.
- 21- في بلاغة الحاج نحو مقاربة بلاغية حاجية لتحليل الخطابات: محمد مشبال، كنوز المعرفة، عمان، ط 1، 2017، ص 60.
- 22- شوقي ضيف : العصر الجاهلي – مرجع سابق – ص 414.
- 23- المصدر نفسه : 415.
- 24- المصدر نفسه : ص 415.
- 25- المصدر نفسه : ص 415.
- 26- المصدر نفسه : ص 416.
- 27- المصدر نفسه : ص 444.
- 28- المصدر نفسه : ص 445.
- 29- المصدر نفسه : ص 447.
- 30- المصدر نفسه : ص 455.

- 31- المصدر نفسه : ص459
- 32- أبا الفضل النيسابوري (الميداني): مجمع الأمثال – المعاونية الثقافية للاستانة الرضوية المقدسة – 1987 – ص 453.
- 33- أبا الفضل النيسابوري: مرجع سابق – ص460
- 34- الميداني: ص 401
- 35- الأمثال العربية القديمة ، عفيف عبد الرحمن – المجلة العربية للعلوم الإنسانية – ص 42-45
- 36- مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج؛ عبد السلام عشير عندما نواصل نغير ، أفريقيا الشرق، المغرب - ص120
- 37- العصر الجاهلي ، شوقي ضيف - ص 406
- 38- الحجاج في البلاغة المعاصرة ، سالم محمد الأمين - 136
- 39- المصدر نفسه: 139
- 40- أهم نظريات الحجاج : شكري مبخوت - ص 351
- 41- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : عبد الله هولي - ص36
- 42- المرجع نفسه: 37-36
- 43- البيان والتبيين: 36/1
- 44- العصر الجاهلي : شوقي ضيف - ص545
- 45- العمدة: 268/1
- 46- اللسان والميزان أو التكاثر العقلي: 232
- 47- عندما نتواصل نغير: 209

### المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم

- 1- أبا الفضل النيسابوري (الميداني): مجمع الأمثال – المعاونية الثقافية للاستانة الرضوية المقدسة – 1987 .
- 2- الأ بصار في ممالك الأ بصار: ابن فضل الله العمري، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، 2004، 13.
- 3- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تج: عبد الرحيم محمود، دار الكتب المصرية، 1953.
- 4- الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب): فرحان بدري الحربي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م.
- 5- آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديد المفاهيم النظرية: سعد بولنوار، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرداح ورقلة، كلية الآداب واللغات، الجزائر.
- 6- تاريخ اليعقوبي: ج1، ص206، كعب بن لوي بن غالب، جد جاهلي، من سلسلة النسب النبوية، كان عظيم القدر عند العرب حتى أرحاها بموته إلى عام الفيل.
- 7- تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية: إبراهيم صحراوي، دار الآفاق،الجزائر، ط1، 1999.
- 8- حجاج الخطاب أو الخطاب الحجاجي: جميل حمداوي، صحفية المثقف، العدد 4934، الاثنين 9/3/2020.
- 9- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007.
- 10- الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجا: إيمان درنوبي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج خضر، إشراف: الجودي مرداسي، 2012.
- 11- حوار حول الحجاج: أبو بكر العزّاوي، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
- 12- صحيح مسلم : كتاب الحج (218/147) – باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
- 13- العصر الجاهلي: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط11، د.ت.

- 14- عندما نتوال على نتائج / مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: عبد السلام عشير، أفریقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012.
- 15- العین: الخلیل بن احمد الفراہیدی (ت175ھ)، تحقیق: مهدی المخزومی و ابراهیم السامرائی، مؤسسة دار الهجرة، ایران ، ط2، مادة (خطب).
- 16- فی بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات: محمد مشیال، کنوز المعرفة، عمان، ط1، 2017.
- 17- کشاف اصطلاحات العنوان: محمد علی التهانوی (ت1158ھ)، دار الكتب العلمية، بیروت، ط1، 1958.
- 18- لسان العرب: ابن منظور (ت711ھ)، مادة (خطب)، والمجمع الوسيط، مجمع اللغة، دار الدعوة، ترکیا، ط2، 1989م.
- 19- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقیق: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، 1990م.
- 20- مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: عبد السلام عشير عندما نواصل نتائج، أفریقيا الشرق، المغرب.

## References

- 1- Aba Al-Fadl Al-Nisaboori (Al-Maidani): The Synod of Proverbs - The Cultural Aid of the Holy Razavi Astana - 1987.
- 2- Sighting in the kingdoms of Al-Amsar: Ibn Fadlallah Al-Omari, investigation: Mahdi Al-Najem, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, vol. 13, 2004.
- 3- The basis of rhetoric: Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari (d. 538 AH), investigatio: Abd al-Rahim Mahmoud, Dar al-Kutub al-Masria, 1953 CE.
- 4- Methodology in Modern Arab Criticism (a study in discourse analysis): Farhan Badri Al-Harbi, The Glory of the University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, I 1, 2003 AD.
- 5- Mechanisms of discourse analysis in explaining the lights of the statement by Shanqeti. Defining theoretical concepts: Saad Boulnoar, PhD thesis, University of Kassadi Merbah and Ouargla, Faculty of Arts and Languages, Algeria.
- 6- History of Al-Yaqoubi: Part 1, p. 206, Ka'b bin Loay bin Ghaleb, grandfather of ignorant, from the chain of prophetic lineage, was of great value to the Arabs until they rested his death to the year of the elephant.
- 7- Literary discourse analysis: An applied study: Ibrahim Sahraoui, Dar Al-Afaq, Algeria, 1st edition, 1999.
- 8- Hajjaj al-Khattab or Hajjaj al-Hajjaj: Jamil Hamdaoui, Al-Muthafq newspaper, issue 4934, Monday 3/3/2020.
- 9- Pilgrims in the Noble Qur'an through its most important stylistic characteristics: Abdullah Soula, Dar Al-Farabi, Beirut, 2nd edition, 2007.
- 10- Pilgrims in the Qur'anic text Surat Al-Anbiya An Example: Iman Dernouni, MA Thesis, Al-Hajj Khadr University, Supervision: Judy Merdassi, 2012
- 11- Dialogue on Pilgrims: Abu Bakr Al-Azzawi, Ahmadiyya Publishing, Casablanca, Morocco, 2010.
- 12- Sahih Muslim: The Book of Hajj (147/218) - Chapter of the argument of the Prophet, peace and blessings be upon him.

- 13- The Pre-Islamic Era: Shawqi Dhaif, Dar Al-Maarif, Cairo, 11th Edition, Dr.
- 14- When we communicate, we change / a deliberative, deliberative approach to communication mechanisms and pilgrims: Abdul Salam Asheer, East Africa, Morocco, 2nd edition 2012.
- 15- Al-Ain: Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi (175 AH), investigation: Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai, Dar Al-Hijrah Foundation, Iran, 2nd edition, article (sermon)
- 16- In Hajj's rhetoric towards a Hajj's rhetoric approach to analyzing speeches: Muhammad Mishbal, Treasures of Knowledge, Amman, I 1, 2017.
- 17- Scout of the terminology: Muhammad Ali al-Tahhanwi (1155 AH), Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, I 1, 1958.
- 18- Lisan Al-Arab: Ibn Manzur (d. 711 AH), Article (Khattab), and the Intermediate Dictionary, The Language Academy, Dar Al-Dawa, Turkey, 2nd edition, 1989 AD.
- 19- Lexicon of Language Standards: Abu al-Hassan Ahmad bin Faris, investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun, Islamic House, 1990.
- 20- A deliberative, deliberative approach to communication mechanisms and pilgrims: Abdul Salam Asheer as we continue to change, East Africa, Morocco.